

اشتغال السلطة الرمزية في رواية "عشب الليل" لإبراهيم الكوني

The Operation of Symbolic Power in Ibrahim al-Koni's Novel "The Night Grass"

صفاء زغدي*

جامعة تيزي وزو، (الجزائر)، safa.zeghdi@ummtto.dz

تاريخ النشر: 2026/07/01

تاريخ المراجعة: 2026/05/16

تاريخ الإيداع: 2025/10/01

ملخص:

تحاول هذه الورقة البحثية الكشف عن طريقة اشتغال الهيمنة الرمزية داخل المجتمعات، ذلك أن السلطة لم تعد تطفى بالأساليب التقليدية، بل أصبحت تتجذر في العقول والأجساد بطريقة ناعمة، لدرجة يصبح الاستعباد فيها مطلب المستعبد، ولهذا يتشارك الجلاد والضحية في صنع مؤسساتها التي تُعاود إنتاج "العنف الرمزي"، وبالتالي فإن المبدع "إبراهيم الكوني" يقول كلمته بشأن "السلطة الرمزية" من خلال عمله الإبداعي "عشب الليل".

الكلمات المفتاحية: السلطة الرمزية، العنف الرمزي، الهابيتوس، إبراهيم الكوني.

Abstract:

This research paper seeks to uncover the mechanisms through which symbolic domination operates within societies. Power no longer manifests through traditional means; rather, it has become deeply rooted in minds and bodies in a subtle way, to the extent that enslavement becomes the very desire of the enslaved. Consequently, both the oppressor and the victim participate in constructing institutions that continuously reproduce symbolic violence. Thus, the author Ibrahim Al-Koni expresses his vision regarding symbolic power through his literary work "The Night Grass".

Keywords: Symbolic Power, The Night Grass, Symbolic Violence, Habitus, Ibrahim Al-Koni.

* المؤلف المراسل.

تقديم:

تُعرف السلطة عموماً بأنها تلك القدرة الشرعية التي يتصرف بمقتضاها فرد أو جماعة أو مؤسسة ما قصد التأثير، باستخدام القوة على تصرفات الآخرين نظرياً وتطبيقياً، وقد بينها: "أفلاطون"، "هوبس" و"جون لوك"، و"ميشيل فوكو"، وفي مطلع القرن العشرين شهد التعامل مع البحث في مفهوم السلطة تغيراً ملحوظاً، خصوصاً بعد ظهور مجموعة من الأبحاث والكتابات المتمردة على الطرح التقليدي الضيق لمفهوم السلطة، وأسست لنفسها أفقاً واسعاً في رؤيتها للسلطة من وجهة نظر سوسيولوجية، التي دعمت طرحها في الموضوع بمجموعة من المصطلحات والمفاهيم، ويرجع الفضل في ذلك إلى كل من الفيلسوفين "ماكس فيبر"، "بيير بورديو"، اللذين أسسا مفهوم "السلطة" بصيغة جديدة كلياً، تقوم على العنف الرمزي، وتستند إلى إكراهات، ذلك أنها تشرعن الهيمنة وتؤبدها، وبمفعول تنويهي تجبر المهيمن عليهم على الاعتراف بها وتقبلها وتقديسها، إلى درجة أنهم يلعبون دوراً بارزاً في إعادة إنتاجها، وينحتون على جدران عقولهم شعاراً "عش في وفاق مع الطبيعة" إيماناً راسخاً مفاده أن السلطة كأي نظام طبيعي لا يتبدل ولا يتغير، وبما أن الهيمنة هي هدف أي سلطة فهي تغلظ العقوبة على كل من يرفض سُننها أو يعترض عليها، لأنّ ناموس السلطة لا يرحم المعارضين، وبهذا يحق للسلطة أن تفعل ما تشاء، وقت ما تشاء، وكيف ما تشاء، فباسم السلطة العليا تمارس الهيمنة دون حسيب ولا رقيب، وبالارتكاز على الخطابات الناعمة المخترقة للعقول والمستغلة للأجساد والمتطفلة على العادات والأعراف، وحتى التركيز على الصيغ الكلامية يجري إشباع حاجاتهم من رغبات وغرائز، وبذلك تكون السلطة الرمزية قد هدمت ثقافة الجماعة، وطغت على الأحكام الطبيعية والثقافية الأصلية، وتجعل من الثقافي طبيعياً وفق ما يخدم ويساير مصالحها، كما أنها تبيع لنفسها الجريمة باعتبار أنها السلطة العليا التي فوّضتها الجماعة ومنحتها الشرعية في تمثيلها، وبما أن المثقف العضوي كما يسميه "غرامشي" يسعى إلى تحريك السواكن وكشف خبايا السلطة وعنفها، ويسخر قلمه لخدمة قضايا أمته، من خلال توجيه أفكار وتطلعات الطبقة التي ينتمون إليها عضواً، فهو صاحب مشروع ثقافي وأخلاقي، في هذا الصدد نجد أعمالاً روائية تناولت موضوع السلطة الرمزية وهو ما طرحه رواية "عشب الليل" للروائي الليبي "إبراهيم الكوني" التي ستكون محط دراستنا، وعلى هذا الأساس نطرح الإشكالية المحورية الآتية: كيف يمكن لثقافة مجتمعية ما أن تتيح مجال الشرعية لسلطة رمزية تمارس ضدها الهيمنة والعنف وتجبرها على الخضوع لنظامها وكأنّ الطبيعة أقرت بذلك؟ وتحت هذه الإشكالية تندرج عدة أسئلة:

- ما الأساس الفعلي الذي تستند إليه السلطة الرمزية في فرض هيمنتها؟
- ما مظاهر العنف الرمزي في رواية "عشب الليل" وما انعكاساته على المجتمع؟
- ما التّصور الذي وضعه إبراهيم الكوني لصياغة الهيمنة الذكورية في شكل سلطة رمزية؟

أولاً. الهيمنة أم البقاء

يحاول إبراهيم الكوني في رواية "عشب الليل"، أن يعوز علاقات القوة التي تنشأ عنها السلطة الرمزية، لأن وراء كل السلطات الصغرى مدرسة أسرة، دولة، قبيلة، معبد... سلطة عظمى خفية تُسير الكل وفق ما يخدم مصالحها، تعمل على إرساء دعائمها من خلال اختيار ممثلها على حسب ثقافة من تريد الهيمنة عليهم، وبالتالي

كل السلطات تنصب من أجل وفي خدمة القوى الخفية، التي تتخذ من الاحتجاب والتمويه أساسا حقيقيا لفرض وبسط هيمنتها.

يكشف "إبراهيم الكوني" عن أقوى سلاح تستخدمه السلطة الرمزية في بسط نفوذها واستمرار هيمنتها وهو سلاح "الاستحمار بالأسماء"، وفي هذا الصدد يقول: "عبد الرزاق الجبران": "بالأسماء يتيه الكذب، هذه هي قصة تهريب الحقيقة، لحظة تمرير القبح بالجمال، بالأسماء تحكمنا الشريعة، بالأسماء تعبرنا الخديعة"¹ ويقول أيضا: "الحقيقة ليست بعيدة الأسماء تبعدها"² نفهم من هذا أن للأسماء سلطة طاعوية تجبر المهيمن عليهم على الإذعان لها ومن أهم الأسماء نجد:

1. الزعيم:

نصبت القوى العظمى "وان تيهاي" حاكما على أهل "واو"، هذا الاسم يحمل عنفاً رمزياً يظهر عكس ما يضمّر، فالزعيم هو "السيد المستعمر يقوم يوميا بإدخال العنف إلى عقول وبيوت المستعمرين"³، ولقد استعان "وان تيهاي" بالخفاء في تأبيد حكمه، حيث استطاعت هذه السلطة أن تنفذ إلى ذاته وتنغرس فيها حتى أصبح شريكاً فعالاً في الفعل الهيميني حيث يقول: "الخفاء هو سلطاني لا الناموس"⁴، وقد اخترته لأنه سليل الظلمات، ولأنه الوريث الوحيد لأبويه⁵، وبالتالي، فإن سلطته تشرعن "نتاج هيمنة طبقية"⁶ على رأي "ماركس" إضافة إلى هشاشة نفسيته، فهو ينتهي إلى عالم التخلف الذي يُشَيِّ الإنسان ويُحوّله إلى وسيلة⁷، وقد خصته السلطة بسلاح سحري استهدفت نقطة ضعفه وهي "شهوته"، لتحوّله إلى "إنسان مقهور لا يجد من مكانة له في علاقة التسلط العنفي هذه سوى الرضوخ والتبعية، سوى الوقوع في الدونية كقدر مفروض"⁸، فقد عرف "وان تيهاي" بالاستهتار وبحبه للنساء، وفي هذا السياق منحه الخفاء وصفة سحرية تحوّله إلى متسلط وظالم يتلذذ بهيمنته، وهذا ما نهيه إليه الحكيم حينما قال له "ما دام الخفاء هو الذي أخرج لك العشب من دون الناس جميعا فتلذذ وتلذذ، لأنك لن تأخذ معك إلى الهاوية إلا ما لقي في قلبك فرحاً"⁹. هنا نلمح الكوني يستعيد عالم نباتات الصحراء، فالنباتات والأعشاب هي جزء من ثقافة وتاريخ أهل الصحراء، وقد نسجت حولها الأساطير، واعتقد فيها الصحراوي البركة والشفاء من الأمراض النفسية والجسدية والجنسية، "فكل شجرة نابته فيها حكمة ثابتة"، ذلك هو اعتقاد أهل الصحراء، ومن النباتات التي كانت ضمن الخلطة السحرية نجد نبات "الطلح"، وهي نبتة قصيرة شوكية مقاومة، كما ذكرت الرواية شجرة "الرم"، تلك الشجرة ذات زهر شدي، لا تتأثر بالجذب والجفاف ولا تذبل صيفا، وهي نبتة خاصة في حياة الصحراويين، إضافة إلى "أسيار" وهو نبات أسطوري يعطي طاقة هائلة¹⁰، حيث نلاحظ أنها تشترك كلها في صفة المقاومة والاستمرارية، وهذا ما تسعى إليه السلطة الرمزية "الخلود والمقاومة" وكأنه نوع من السحر الإيجابي القائم على التشاكل، حيث الشبيه ينتج الشبيه، وعن طريق هذه العشب يفرض عليه المتسلط الإعجاب به والاستسلام له، في حالة من التبعية الكلية، وبمقدار ما ينهار اعتباره لذاته يتضخم تقديره للمتسلط ويرى فيه نوعا من الإنسان الفائق الذي له حق شبه إلهي في السيادة¹¹، وكنتيجة حتمية لهذا تتغير نواياه التي لم يكن يعرف أنه يحملها على حد تعبيره¹²، ومنه تبدأ رحلة "وان تيهاي" الطاغية في بسط نفوذه وأداء مهمته في السيطرة على مجتمعه وخدمة القوى العظمى.

وبما أن لكل سلطة مبادئها ووسائلها للسيطرة والتمويه نجد "وان تيهاي" يهذي باسم الحق والحرية التّليم يكن يؤمن بها لذاتها، بل جعلها وسيلة لبلوغ السلطة، حيث يقول: "حظوظ الحياة لم تبترسم في وجهي

يوما، ولم تهني شيئا لم أنتزعه منها بقوة الدّراع¹³، "أنا لم أسبب الأذى لأحد، ولكنني جربت إنّي لم أظهر في الأضواء أمام النّاس يوما إلّا ونالني منهم مصاب، فكيف أسكن إليهم"¹⁴، كما اعتبر عدوانية الإنسان لأخيه الإنسان مبررا لقناعة التسلّط والقهر والإقصاء، فتجده يقول "ما إن يعلم الإنسان بأنّ له أخ يحيا في الرّقعة المجهولة حتى يصبح لابد من أن يحتال ويبتدع ويركب الرّيح ليصل إليه، يصل إليه يرتعي بين ذراعيه... ثم يستغفله ليطعنه في الظهر الطعنة المميّنة هذا هو الإنسان الذي يثور عندما تجاهر بالحق وتخبره بحقيقته، لقد أغضب الكثيرين، وفقد أقرانا أكثر لأنّه كلّهم بالأمر".¹⁵

نفهم من هذا أنّ الكوني هنا يحلّل لنا كيف يُصنع الطّاغية، الذي يتصيّد السّلمة باسم الحقوق والحريات، وفي سبيل السّلمة يُلغى ويتوسّل القوة والإكراه، وهذا ما فعله "وان تهاي"، حيث مارس أساليب الهيمنة بالتعنيف الجسدي، فقد كان يقطع لسان كل من لم يسمع كلامه، أو ينتقد شيئا لم يعجبه، كما مارس عليهم نوعا من الرّقابة، فقد علم عبده "أن يرتابوا في كل شيء ولا يصدقوا أي شيء وتعلّموا أيضا ألا يسمعو ولا يبصرو وإذا أبصرو قسرا كذبوا في الحال ما أبصرو وإذا سمعوا عفوا نسوا في الحال ما سمعوا"¹⁶. وعليه يمكننا القول إنّ الحقوق والحريات ما هي إلا شعارات تساهم في صنع الطّغاة.

2. الهيمنة على العقول باستغلال الدين:

يقول "عبد الرزّاق الجبران" في جمهورية الكهنة: "الكاهن نائب الله، في سماء الله وفي أرض الكهنة"¹⁷ من هذه العقيدة يتبلور "الدّين الاستحماري"¹⁸ الذي اتخذه "وان تهاي" وسيلة لتغييب عقول النّاس، هذا الدين الوضعي، مثله (الكاهنة والعرفاة)، عمل على تحويل ثقافة الحاكم إلى ثقافة مهيمنة تنطوي على معنى الخضوع للسلطة، وبالتالي تحقيق الشّهوات، ومنها شهوة الجاه وغريزة التسلط وتبعية المستضعفين. ويرى الكوني أنّ المؤسسة الدّينية هي صوت السلطة الرمزية، وفي نفس السّياق يؤكّد غرامشي على أنّ "الطبقة الحاكمة تنظم المجتمع وتديره من خلال القوة الثقافية التي تحسن التّعامل معه"¹⁹، تبعا لذلك وباسم الدّين ترضخ العامة إلى مشيئة السّلمة قولا وفعلًا والتزامًا، وبهذا تحافظ السّلمة على التّوافق النّفسي والاجتماعي في ظل القابلية للتبعية، ومنه ينشأ التابع.

وهنا نطرح السّؤال كيف تستغل السلطة الرمزية المستبدة الدين للهيمنة على العقول وتخويف الناس؟ تجيبنا الرّواية عن هذا التّساؤل من خلال دعوة العرفاة البنت إلى السكوت عن الظلم والاعتصاب، حينما قالت لها: "ليس فخرا أن تتباهى امرأة بقول ما لا يجب أن يقال"²⁰، وقولها أيضا: "إذا خرج من فم الإنسان القول المعيب، فذلك عار يلحق بقائل الأقوال لا بمستمع وسمع الأقوال، فهل يليق أن تجازف الصّبية بالشّرف في سبيل أنترضي شهوة وتسمع النّاس ما لا يجب أن يسمعه النّاس"²¹. فهنا تستخدم الكاهنة أسلوب الهيمنة بالخطاب، وتكريس مفاهيم سياسية كالشّرف والفضيلة من أجل التّخفيف من وقع الجريمة، تبعا لهذا يُسلم الكوني بأن حُرّاس السلطة (العرفاة، والكاهنة) يُبغضون الحقيقة، فبدل أن يكون الدّين هو المنهل والمرجع الأوّل الذي يمد الإنسان بقيم الأخلاق والكرامة، هاهم يُلطّفون الفساد الذي يُلحق بالرّعية الضرر، وفي هذا الصّدّ يقول عبد الرزّاق الجبران "تبحث البشرية عن الفضيلة عند الكاهن وهو جزاها"²²، وهكذا يتم تلقين مبادئ السلطة للرّعية، والبحث على العمل بها وتبنيها.

3. دور حماة السّلمة

يكشف الكوني في رواية عشب الليل عن دور المثقف في تكريس السلطة الرمزية، حيث يعتبر الحكيم "بوبو" العقل المدبر للزعيم "وان تهاي"، على اعتبار أن "الحكيم بكل شيء عليم"²³، وهنا يمكن أن نتساءل بما أن وظيفة المثقف أو المفكر كما يعتقد "غرامشي" تتطلب اليقظة والانتباه على الدوام ورفض الانسياق وراء أنصاف الحقائق أو الأفكار الشائعة باستمرار²⁴، ما الذي يحمل هذا المثقف على أن يعلن الولاء المطلق للسلطة؟ نفهم من الرواية أن سبب ولاء "بوبو" لمولاه هو أنه لم يشعر أبداً أنه مكلف حقاً، لم يع رسالته، حتى صيغه الكلامية دوغمائية ساذجة عبارة عن قوالب جاهزة لا تتعارض مع تيار السلطة، ويظهر ذلك في جملة من أقواله من قبيل: "أحسن مولاي العبارة فيما قال"²⁵ بل كنت في سري من المشجعين"، "لا أرى إلا ما يرى مولاي"²⁶.

من خلال هذا نلاحظ نقطة اشتراك بين الحاكم والمثقف تفسر عبثهم وتواطؤهم تتمثل في عدم الجدية وحب المتعة، ويظهر ذلك جلياً في قول وان تهاي "إن الرجل الجاد لا يأخذ الأمر مأخذ الجد لأن كل شيء مباح مادام اللهو هو ناموس الدنيا"²⁷، وأيضاً غياب الشجاعة فالحكيم يتعمد الكذب، ويخاف نصر الحق، ويعتبر نفسه عبداً للحاكم، ونلمح ذلك في قوله: "الشجاعة لم تكن يوماً من خصال العبيد"²⁸. وهذا يقرّ الحكيم بالتفاوت بين الأسياد والعبيد، كما يعتبر التفاوت قانون الطبيعة، كما يسلم بأنّ الأتباع خلقوا عبيداً ولا يصلحون إلا للعبودية، وبالتالي لا يجوز لهم الخروج عن الحاكم، بل إنهم خلقوا لخدمة الأسياد وفقط، يقول الكوني في هذا الصدد: "أدركت يقيناً أننا نحن لا غيرنا المسؤول الأول والأخير عن صنع الطغاة"²⁹.

ومنه نفهم أن هذه الأسماء ما هي إلا "شعارات مميتة غايتها احتقار الحقيقة، قبل أن يكون همها الاحتفاظ بالكنز الوحيد وهو السلطة"³⁰. بهذه الأسماء (الحاكم، المثقف، الكاهنة) تنتج قابلية الاستعمار كما سماها "مالك بن نبي" وتعطل العقول دون أن ينتبه الفاعلون الاجتماعيون، وهذا هو عمل السلطة الرمزية كما عرفها "بورديو" في قوله: "بأنها سلطة لامرئية ولا يمكن أن تمارس إلا بتواطؤ أولئك الذين يأبون الاعتراف بأنهم يخضعون لها ويمارسونها"³¹، وبالتالي فإن سر قوة السلطة الرمزية هو "الخفاء"، لدرجة أن الرعية يحسبون أنفسهم أنهم أحرار، وفي الحقيقة هم عبيد سلطة تُهندس شخصياتهم بمبادئها الخاصة. من خلال هذا نلاحظ أن "إبراهيم الكوني" يتفق مع "بورديو"، بأن فكرة الخفاء مهمة ولها علاقة بمفهوم السلطة الرمزية، ونستدلّ بذلك من خلال العودة إلى العنوان، فالعشب هو إشارة إلى تجدد العنف، والليل إشارة إلى تغطية العنف بواسطة النواميس، وبهذا المفهوم أصبح الجلاد وان تهاي بكل هذه القسوة والإجرام.

وحيثما قبل أهل "واو" خرق التابوهات، باستباحة كرامة وعرض الحفيدة التي لجأت إليهم للحدّ من بطش جدّها، هنا كانت بوابة السلطة الرمزية في اختراق جسد المجتمع، فقد كانت ردة فعلهم لجم فاه الضحية المستضعفة، "غانية غانية أحرقوا رأس الغانية بالنار"³². نفهم من خلال هذا أنّ الفاعلين الاجتماعيين أهل واو-كلّهم شركاء في الثقافة التي أنتجت سلطة وان تهاي المتسلّطة، ويستعرض الكوني خطاب آخر للهيمنة على لسان العرافة "أين الرجال؟ هل خلت واو من الرجال في يوم؟ أم أنّ الرجال ينتظرون من الزعيم أن ينهض من رقدته ليضع حدّاً للمنكر"³³ وكأن العرافة تستنهض همم الرجال وتتلاعب بعقولهم وتتغلغل إلى نفوسهم معتمدة على التبخيس الذاتي، وقد مثل "اغلولي"، و"اهلوم"³⁴ دور المؤتمن على السلطة وحمايتها³⁵، وهذا المشهد يحيلنا على فهم غاية السلطة الرمزية المتمثلة في بث ثقافة استحسان الهيمنة أي: الرضا بين الحاكم والمحكوم، وبهذا

يصبح أفراد مجتمع "واو" كالمطواغيت أنفسهم، ولو سلمت السلطة لأحدهم لاستخدم العنف الرمزي، ويمكن التأكد من ذلك حين اختلف "وان تيماي" معهم في الرأي، حين اختار الاقتران بأمة زنجية فما كان من قومه إلا أن عابوه وعادوه بقولهم: "إذا قبل النبيل اقتسام الفراش مع بنت الأدغال فسوف يرى النبيل يوما ابنته تتقاسم مخدع القران مع ابن الأدغال"³⁶، وكأنّ الكوني يحلّل نفسية التابع الذي أصبح مهينا ومهين، وكنتيجة حتمية لذلك يكرس التفاوت بين طبقات المجتمع، وبهذا يتفق "الكوني" مع "بورديو" في أنّ السلطة نظام معقد يخترق كل العلاقات والترابيط التي تشتغل داخلها بواسطة آليات دقيقة وفعالة تتحكم في البنية العامة لذلك النظام³⁷، ونجد أنّ كل بنية العالم الاجتماعي، ينبغي أن تؤخذ بعين الاعتبار، من أجل فهم آليات الهيمنة والسيطرة³⁸، التي تفسح المجال واسعا للرجل لكي يفرض هيمنته على المرأة في المجتمع، وذلك من خلال تشكيل المركز الذي تكون فيه الهيمنة للرجل.

ثانيا. هيمنة السلطة الذكورية:

في رواية "عشب الليل" نجد "الكوني" يغوص في تفكيك نظام الهيمنة الذكورية التي تعطي امتيازات للجنس الذكوري وتقصي وتهشم المركز.

يجيبنا عجوز الأدغال عن السبب الذي يجعل الذكر يلوذ للهيمنة على الأنثى، ويظهر ذلك في قوله: "ألا ترى أن مكيدتنا هي تصحيح للجرم الذي بلتنا به الأنثى فكانت علة شقائنا"³⁹، ويقصد بالجرم هنا ما ورد في رواية التبر: "الأنثى أكبر مصيدة للرجل سيدنا آدم أغوته امرأة، فلعنه الله وطرده من الجنة، ولولا تلك الجهنمية لمكثنا هناك ننعم بالنعيم ونسرح في الفردوس"⁴⁰. نفهم من هذا أنّ القناعة التي ترقد في قلب الرجل على حد تعبير الكوني، هي أنّ الأنثى هي التي أغوت آدم لأن يلتقم الثمرة الحرام، وبالتالي فقدان الفردوس السماوي المتمثل في الخلود، وكأنّ الرجل يعوّض تلك الخسارة بتخليد نظام ذكوري يقصي ويعتف المرأة، وهنا نلاحظ أنّ الكوني يقدم مبررا للهيمنة عكس "بورديو" إذ يعتقد بأنّه لا يوجد حجة على قيامها، حيث يقول "إنّ قوّة النظام الذكوري لا ترى فيه أمرا يستغني عن التبرير، ذلك أنّ الرؤية المركزية تفرض نفسها كأنّها محايدة، وأنها ليست بحاجة إلى أن تعلن عن نفسها في خطب تهدف إلى شرعنتها"⁴¹. من هذا المنطلق تعاني المرأة من الاستلاب العقائدي، ويقصد به "تبني المرأة لقيم سلوكية ونظرة إلى الوجود تتماشى مع القهر الذي فرض عليها من رضوخ وتبعية وإنكار لوجودها وإنسانيتها"⁴²، وعليه نفهم من فلسفة الكوني أنّ الرجل يعتقد أنّ الأنثى أصبحت حاملة للواء الإغواء، ومنه فإنّها وجدت من أجل ذلك، وعليها أن تحيا لأجل الغواية وإمتاع الرجل لا غير، فهذا هو يقول: "لم تخلق الأمة إلا من أجل إمتاع المولى"⁴³، ومنه فإنّ الهيمنة الذكورية وفقا لهذا المعنى لا يمكن أن تتمّحى بسهولة مادام أنها متجذّرة في التاريخ والأجساد، كما أن مباركة الحكيم "بوبو"، لهذا الفعل تكشف عن مدى عمق الاضطهاد الذي يمارس ضد الأنثى، فقد قال: "لقد نصرت مولاي في عدائه للناموس لا من باب وفاء العبيد نحو السادة، ولكن لقناعة قديمة صارت لي سرا أبديا"⁴⁴. ويرى "الكوني" أن الهيمنة الذكورية تستمر عبر عناصر أساسية منها:

1. إعادة الإنتاج:

وهو "نوع من العنف الرمزي هدفها إعادة إنتاج علاقات السيطرة وفقا لاستراتيجيات معينة فردية وجماعية"⁴⁵، وفي الرواية نجد هذا النوع من العنف يمارسه "النظام التربوي" الذي يمثل قطباه "عجوز الأدغال"

وقرينة وان تيهاي "ابنته"، فقد عملا على إجبار الحفيدة عن طريق التعلم بالتجربة، على الخضوع للمنطق السائد الذي يقضي بضرورة القبول الضمني للمهانة، وأن عقلها وجسدها ملك الأب، على اعتبار "الأقربون أولى بالمعروف"⁴⁶، ونلمح ذلك من خلال المكيدة التي دبّرها الحكيم للوليدة، تتمثل في إعطائها غزالة لتربيها وحينما تعلق قلب الفتاة بالغزالة، أطلق سراح الغزالة كي تذوق البنت عذاب الحب والفراق وكي تعلم ما أراد لها الحكيم أن تعلم، "لا أحد يستحق أن يحب كذوي الأرحام وأنّ الإنسان سيعيش شقيا إذا لم يحب الأب، إذ لم يعبد الأب"⁴⁷، هذه المكيدة الذي أوقعت البنت في الفخ فكانت قرينة لأبيها، عملت هي الأخرى على توريث منطق الطاعة والإذعان لابنتها التي أنجبها من أبيها، إذ تقول لها: "إذا لم تتعلّمي قول ما يجب أن يقال فأخشى أن يومًا سيأتي تجدين فيه فمك خاليا من اللسان أيضا"⁴⁸، وبهذا يتشكّل "رأسمال ثقافي"⁴⁹ الذي يعتبر الأسرة هي المسؤول الأول على تكريسه، وعندئذ يمارس العنف الرمزي من خلال الرضا والقبول الضمني للأحكام الموروثة، وعليه يمكن القول إنّ الهيمنة الذكورية هي نتاج لاشتراك الجلال والضحية بلغة "بورديو".

2. تشيؤ المرأة (الأنثى)

يتفق إبراهيم الكوني مع "بيار بورديو" على أنّ الاقتران أو الزواج هو نوع من العنف الرمزي، لأنه يستغل أجساد النساء، والمرأة هي الضحية لأنّها تعامل كشيء يساهم في تأبيد وزيادة الرأسمال، "فسوق المتاع الرمزي يقضي قانونه الجوهري أن يعامل الناس كأشياء تتداول من أسفل إلى أعلى"⁵⁰. لكن إبراهيم الكوني يدقّق أكثر في رؤيته للمرأة، ذلك أنّ المرأة عنده امرأتان، و"ليس امرأة واحدة، فهناك المرأة مبدعة العالم، وهناك المرأة الأنثى أي الخطيئة"⁵¹، وبالعودة إلى الرواية نجده يعلن عداوته للأنثى، الذي عمل النظام الذكوري على تشيئها وتهميشها بمبادرة ذاتية منها، فهي التي تنساق وراء غرائزها وفضولها، هي التي لا يتعدى تفكيرها جسدها ومفاتها، وهي المسؤولة على توطيد قدم العنف والتهميش والإقصاء، ويتمثّل هذا المفهوم في الرواية من خلال استغلال فضول "الحفيدة" وتوظيفها في لعبة اجتماعية، فقد استخدمها "وان تيهاي" كسلاح لما أراد أن ينتقم من قومه عن طريق خرق الناموس، والوصول إلى السلطة.

كما نلمح الغياب الفعلي لدور المرأة الأنثى وحضور جسدها فقط، فالحيرة التي سكنت "وان تيهاي" هي البحث عما وراء الجسد⁵²؟ وبتقصي الرواية نفهم أنه لا وجود لكيثونة المرأة الأنثى، ونستدلّ على ذلك بعدم ذكر أي اسم لامرأة بل ذكرت أوصاف لها فقط "عرافة، كاهنة، مربية، الساحرة" يقول إبراهيم الكوني "في رواية" من أنت أيها الملاك"، "إن الأسماء كنز نفيس، بل هي أنفس الكنوز على الإطلاق، بدليل من لا اسم له لا وجود له"⁵³، فلقد ساد الاعتقاد أنّ المرأة موضوعة من أجل الآخر، الذي بدورهيحوّلها إلى شيء، يقول بورديو: "إنّ نتيجة الهيمنة الذكورية التي تشكّل من النساء موضوعات رمزية، الكائن منها كائن مدرك، هي وضعهن في حالة دائمة من عدم الأمان الجسدي، أو بالأحرى في حال من التبعية الرمزية، إنهن موجودات بواسطة ومن أجل نظرة الآخرين، أي بمثابة موضوعات مضيفة، جذابة وجاهزة، تنتظر منهن أن يكن أنثويات أي مبتسمات، لطيفات، مجاملات، خاضعات، محتشمات، متحفّظات وحتى منزويات"⁵⁴، وذلك ما يوطّد أركان العنف الرمزي.

3. العنف الرمزي:

الذي يهدف إلى إخضاع المرأة (الأنثى) للرجل، حيث يرى الكوني أنّ اللغة إحدى آليات العنف الرمزي، فلقد أدرك "وان تيهاي" قوة وسحر الكلمة، فكانت حصن لسلطته الذكورية وفي ذلك يقول: "المرأة أضعف

مخلوق أمام القطعان واللّسان، ولكنك نسيت أعظم ركن في التّميمة نسيت حجر الزّاوية، نسيت اللّسان فما أشدّ بلاهة النّاس الذين يتعجّبون من امرأة تخرج وراء أولئك البؤساء القطعان ولا السّلطان⁵⁵، وقال أيضا: "لا يأتي السّلطان إلا بعد اللّسان"⁵⁶، وعليه فقد كان الحكيم يكرّر على مسمع البنت عبارة "حب الأب هو الحب الوحيد الآمن"⁵⁷، فكانّه يكرّر تعويذة يرجى من خلالها التّشويش على البنت و إحداث أثر مرغوب (الاقتراح بالجد)، وبهذا تصل إلى الاستلاب العقائدي بـ "أن تقتنع المرأة بدونيّتها تجاه الرّجل، وتعتقد جازمة بتفوقه وبالتالي سيطرته عليها"⁵⁸، وبهذا صارت البنت قرينة لأبيها "وان تيهي، بل وعملت على توريث هذا النّظام المتسلّط كما وضحت الرواية.

إضافة إلى اللّغة فإن فخ المرأة الفضول كما "يعتقد الكوني، حيث يقول" الفضول شركا الفضول فخ الأنثى، الأنثى لا تعشق رجلا لا يخفي سرا، الأنثى لا تمشي وراء رجل لا يثير فضولا"⁵⁹، فالفضول دفع بالفتاة إلى فهم سر وعشق جدّها للغزاة، فكان علّة شقائها واقتنائها إكراها بجدّها وإتيانه معها منكرا، فقد قدمت قربانها ضريبة لهذا الفضول، وفقدت شرفها وبالتالي أصبحت ضحية لجلادها الجدّ، وأصبحت تتلمس الحلول وتبحث عن مخرج لهذا القهر إلى أن اهتدت إلى حيلة، تمثّلت في قتل جدّها، لكن المديّة تسلّلت إلى جسدها وجسد جدّها، فكانت نهاية جدّها مقترنا بنهايتها، وكأنّ الكوني يريد أن يقول أنّ مقاومة هذا النّظام الذّكوري، لا يتأتى بالقوة والسّلاح، بل ترتقي هذه الأنثى إلى المرأة مبدعة العالم وسبيلها إلى ذلك العلم والمعرفة.

الاستنتاج

ما يمكن أن نستخلصه أنّ السلطة الرمزية كما بيّن الكوني في الرّواية، تتغلغل إلى جسد المجتمع تحت مسمّيات تنويمية، وبعنف رمزي تبث ثقافة الطّاعة وتفرض الشّريعة، كما أنّ هذه الثّقافة المرضية التي يعتبرها الكوني عدوانا على سلطة الرّب، لديها سلاحان لتكريس طغيانها الأوّل سلاح مادي يعتبر العنف هو الوسيلة الطبيعية لبلوغ وفرض للسلطة، والثّاني أجهزة أيديولوجية تعمل على برمجة الأفكار تنتهي بتأييد التّبعية. قدّم لنا الكوني تصورا عن الهيمنة الذّكورية، هذه الهيمنة التي تُعاود المرأة الأنثى إنتاجها بتواطؤ عفويّ منها، عن طريق (الخطيئة، الفضول، الوقوع في فخ اللّسان).

دعا الكوني إلى إعمال الفكر كأقوى سلاح ضدّ السّلطة، والعمل على كسب ثقافة الحرية على اعتبار أنّها المخرج الوحيد لنزع الوهم المتأصل في عقل المهيمن، وبذلك تكون الرّواية خطابا فلسفيا في تفكيك الهيمنة (السّلطة) وأساليب العنف الرمزي، الذي كانت المرأة أولى ضحاياه.

هوامش وإحالات المقال

¹ عبد الرزاق الجبران، جمهورية الله سماء وجودية، دط، دت، ص 104

² المرجع نفسه، ص 106

³ مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، المركز الثقافي العربي-المغرب، ط 9، ص 34

⁴ إبراهيم الكوني، عشب الليل، دار المتلقى للطباعة والنشر، ط: الثانية، ص: 130

⁵ الرواية، ص: 20

⁶ بيار بورديو- كلود باسرون، تر: ماهر تريمش، مر: سعود المولى، إعادة الإنتاج في سبيل نظرية عامة لنسق التعليم، المنظمة العربية للترجمة بيروت - لبنان، ط: 1، 2007، ص: 102.

⁷ مصطفى حجازي، مرجع سابق، ص 33.

- ⁸ مصطفى حجازي، مرجع سابق، ص 39.
- ⁹ الرواية ص 50.
- ¹⁰ إبراهيم الكوني، التبر، دار التنوير للطباعة والنشر، ط: الثانية، 1992، ص 20.
- ¹¹ مصطفى حجازي، مرجع سابق، ص 43.
- ¹² ينظر: الرواية، ص 135.
- ¹³ الرواية، ص 124.
- ¹⁴ الرواية، ص 50-51.
- ¹⁵ الرواية، ص 39.
- ¹⁶ الرواية، ص 31.
- ¹⁷ عبد الرزاق الجبران، جمهورية الله سماء وجودية، مرجع سابق، ص 58.
- ¹⁸ عليشريعتي، النباهة والاستحمار، الدار العالمية للطباعة والنشر، ط 1، 1404-، 1984، ص 54.
- ¹⁹ أمنة بلعلي، تفكيك الهيمنة في رواية روائح المدينة لحسين الواد، جامعة تيزي وزو- الجزائر، ص 7.
- ²⁰ الرواية، ص 8.
- ²¹ الرواية، ص 9.
- ²² الرواية، ص 22.
- ²³ الرواية، ص 115.
- ²⁴ إدوارد سعيد، المثقف والسلطة، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط 1، 2006، ص 32.
- ²⁵ الرواية، ص 50.
- ²⁶ الرواية، ص 85.
- ²⁷ الرواية، ص 56.
- ²⁸ الرواية، ص 64.
- ²⁹ إبراهيم الكوني، عدوس السرى، روح أمم في نزيف ذاكرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1، 2003، ص 152.
- ³⁰ إبراهيم الكوني، عدوس السرى، ص 154-155.
- ³¹ بيار بورديو، الرمز والسلطة، تر: عبد السلام بنعيد العالي، دار توبقال للنشر- المغرب- ط 3، 2007، ص 48.
- ³² الرواية، ص 15.
- ³³ الرواية، ص 16.
- ³⁴ الرواية ص 16.
- ³⁵ ينظر: أمنة بلعلي، تفكيك الهيمنة في رواية مدائح المدينة لحسين الواد، جامعة تيزي وزو، ص 7.
- ³⁶ الرواية، ص 66.
- ³⁷ أمنة بلعلي، تفكيك الهيمنة في رواية روائح المدينة لحسين الواد، ص 3.
- ³⁸ مقال نظرية السلطة الرمزية عند بيار بورديو www.aranthropos.com
- ³⁹ الرواية، ص 143.
- ⁴⁰ إبراهيم الكوني، التبر، ص 21-22.
- ⁴¹ بيار بورديو، الهيمنة الذكورية، تر: سلمان قعفراني، مر: ماهر تريمش، المنظمة العربية للترجمة، ط 1، 2009، ص 27.
- ⁴² مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، ص 32.
- ⁴³ الرواية، ص 50.
- ⁴⁴ الرواية، ص 138.
- ⁴⁵ بيار بورديو، علم الاجتماع حول الثقافة والسلطة، تر: إبراهيم فتحي، ط 1، 1990، ص 11.
- ⁴⁶ الرواية، ص 86.
- ⁴⁷ الرواية، ص 95.
- ⁴⁸ الرواية، ص 172.

- ⁴⁹ بيير بورديو، أسئلة علم الاجتماع حول الثقافة والسلطة والعنف الرمزي، ص 11.
- ⁵⁰ بيار بورديو، الهيمنة الذكورية، ص 72.
- ⁵¹ إبراهيم الكوني، عشت بدون امرأة عشرات السنين وأحببتها كما لم يحبها أحد، مجلة أسرتي، www.osratimagazine.com
- ⁵² الرواية، ص 66.
- ⁵³ إبراهيم الكوني، من أنت أيها الملاك، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1، 2009، ص 37.
- ⁵⁴ بيار بورديو، الهيمنة الذكورية، ص 103.
- ⁵⁵ الرواية، ص 57.
- ⁵⁶ الرواية، ص 58.
- ⁵⁷ الرواية، ص 110.
- ⁵⁸ مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي، ص 217.
- ⁵⁹ الرواية، ص 177.

قائمة المراجع:

- 1 إبراهيم الكوني، التبر، دار التنوير للطباعة والنشر، ط: الثانية، 1992..
- 2 إبراهيم الكوني، عدوس السرى، روح أمم في نزيف ذاكرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1، 2003.
- 3 إبراهيم الكوني، عشب الليل، دار المتلقى للطباعة والنشر، ط: الثانية.
- 4 إبراهيم الكوني، عشت بدون امرأة عشرات السنين وأحببتها كما لم يحبها أحد، مجلة أسرتي، www.osratimagazine.com
- 5 إبراهيم الكوني، من أنت أيها الملاك، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1، 2009.
- 6 ادوارد سعيد، المثقف والسلطة، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط 1، 2006.
- 7 امنة بلعل، تفكيك الهيمنة في رواية روائع المدينة لحسين الواد، جامعة تيزي وزو- الجزائر.
- 8 أنطونيو غرامشي، كراسات السجن، تر: عادل غنيم دار المستقبل العربي-القاهرة، 1994، دت.
- 9 بيار بورديو- كلود باسرون، إعادة الإنتاج في سبيل نظرية عامة لنسق التعليم، تر: ماهر تريمش، مر: سعود المولى، المنظمة العربية للترجمة بيروت-لبنان، ط: 1، 2007، ص: 102.
- 10 بيار بورديو، الهيمنة الذكورية، تر: سلمان قعفراني، مر: ماهر تريمش، المنظمة العربية للترجمة، ط 1، 2009.
- 11 بيير بورديو، الرمز والسلطة، تر: عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر-المغرب- ط 3، 2007.
- 12 بيير بورديو، علم الاجتماع حول الثقافة والسلطة، تر: إبراهيم فتحي، ط 1، 1990.
- 13 - عبد الرزاق الجبران، جمهورية الله سماء وجودية، دط، دت.
- 14 عليشريعتي، النباهة والاستحمار، الدار العالمية للطباعة والنشر، ط 1، 1404-، 1984.
- 15 مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الانسان المقهور، المركز الثقافي العربي-المغرب، ط 9.